قدرة المسيح القائم من الموت (كو٢: ١٤-١٥)

الخوري نعمةالله الخوري

يحذّر الرسول كنيسة كولوسي من الوضع الخطير الذي تقيم فيه لانها عرضة للمضلّين الذين يحاولون ان يغشّوا المؤمنين بواسطة كلام فلسفي منمّق، وفي الوقت عينه يكشف عن القيم الحقيقيّة التي يجب أن يتحلّى بها الكولوسيون، تلك التي ترتكز على المسيح (٢: ٨)؛ اذا انقاد المؤمنون هناك لتعاليم المضلّين سيكون مصيرهم السبي في حين انهم سينالون الغلبة اذا اعتمدوا على المسيح. نلاحظ تشديداً على سمو المسيح في الكون وعلى أولويته وتفوقه على الرئاسات التي اخضعت الناس تحت نير الخطايا وجعلتهم امواتاً؛ ان القائم من الموت احيا الناس جميعاً وغفر خطاياهم بعد ان تغلب على القوى التي كانت تستعبدهم لان انتصار الصليب جعله على رأس القوى التي زالت مع نظام الشريعة القديم.

اولا": صعوبات تواجه النقد الأدبي

يواجه الشراح صعوبات متعددة في ترجمة وتفسير كو ٢: ١٤-١٥، وهذه الصعوبات هي ناجمة عن قواعد الصرف والنحو، إضافة الى ان اسلوب الرسول هو مقتضب في هاتين الآيتين، ولا يمكننا بالتالي ان نفهم بوضوح المعنى المقصود.

الترجمة العربية المشتركة فهمت النص على الشكل التالي: "(أحياكم) ومحى الصك الذي علينا للفرائض، وكان في غير صالحنا، وأزاله مسمّراً إياه على الصليب، وخلع أصحاب الرئاسة والسلطة، وجعلهم عبرة، وقادهم أسرى في موكبه الظافر" (٢ : ١٤ - ١٥).

أمّا **ترجمة العهد الجديد بين السطور** فقد عرضت هذا المقطع كما يلي: "(احياكم) ماحياً الصك ضدنا، الذي كان خصمنا بالفرائض، ورفع إياه من الوسط، مسمّراً إياه على الصليب، مجرّداً الرئاسات والسلطات، شهّر في العلانية، ظافراً بهم فيه".

إن الأسلوب المقتضب الذي استعمله الكاتب في هاتين الآيتين لا يساعدنا على معرفة هوية الذي خلع الرئاسات والسلطات: هل هو المسيح أم الله ؟ ومن ناحية أخرى، لا نعلم اذا كانت السلطات التي خلعها الله او المسيح، تشير الى قوات معادية لهما ام الى قوات حليفة ؟ ونتساءل ايضاً: هل شهّرهم الله او المسيح في العلانية ليكونوا موضع السخرية من المشاهدين ام لينالوا الاعجاب منهم؟ سنحاول ان نعالج هذه الصعوبات التي تواجه النقد الأدبي في دراسة هاتين الآيتين.

١- اسم الفاعل "مجرداً"

ان اسم الفاعل "اباكديسامانوس" (مجرداً) يطرح صعوبات لا يمكن تذليلها، لانه لا يظهر في العهد الجديد الا في هذه الآية فقط، كما ان الترجمة السبعينية تجهله، ولا نلاحظ استعماله في الكتب الهلنستية السابقة للعهد الجديد.

يتضمن اسم الفاعل (مجرداً) معنى فاعلاً (sens actif)، ولكن، في الوقت عينه، يمكنه ان يتضمّن معنى انعكاسياً (sens réfléchi)، والاحتمالان هما ممكنان لغوياً، ويمكن الاختيار بين المعنى والآخر حسب نية الكاتب.

أ - المعنى الفاعل (sens actif)

ان المعنى الفاعل يوحي بوجود فاعل للعمل، وهذا يعني ان الكاتب يريد ان يقول ان الله جرّد القوات من سلطتها؛ ولكن من الممكن ان يكون

هذا المعنى الفاعل في اتجاه سلبي او في اتجاه ايجابي.

اذا كان الاتجاه سلبياً نفهم ان الله جرّد أو عرّى أو نزع سلاح اعدائه، فانتصر عليهم وجعلهم يعرفونه فيه (في المسيح)؛ هذا الإتجاه السلبي سمح للمترجمين ان يذكروا في نهاية آ ١٥ : "قادهم اسرى في موكبه الظافر"، مع العلم ان الأصل اليوناني لا يشير الى الأسرى ولا الى الموكب.

اما اذا كان الاتجاه ايجابياً فإننا نفهم ان الله كشف او عرّف الرئاسات ليستطيع الناس رؤيتها، وهذا يعني انه لا توجد عداوة بينه وبين هذه القوات؛ هذه الطريقة في التفسير تتطابق مع التوجه العام للرسالة الى اهل كولوسي التي لا تكشف عن صراع بين الله والسلطات، بل بالعكس نجد ان الله هو خالق لهذه القوات (١ : ١٦)، والمسيح هو سيّدها المطلق (٢ : ١٠).

ب ـ المعنى الانعكاسي (sens réfléchi)

يشير المعنى الانعكاسي الى ان العمل ينعكس ويقع على فاعله. ما يلفت انتباهنا هو ان الرسول استعمل في ٣: ٩ نفس الفعل (اباكديسامانوس) في المعنى الانعكاسي، حيث يقول : "لا تكذبوا على بعضكم بعضاً، خالعين الانسان القديم". هذا ما دفع بعض الشراح الى اختيار المعنى الانعكاسي في المقطع الذي نعالجه، وفي هذا الإطار يتغيّر الفاعل الذي يشهّر الرئاسات ويصبح المسيح، في حين اننا لاحظنا ان الفاعل هو الله إذا اخترنا المعنى الفاعل.

إنّ المعنى الانعكاسي يجعلنا نفهم كلام الرسول على الشكل التالي : "إذ تجرّد المسيح شهّر الرئاسات والسلطات في العلانية". ولكنّ السؤال المطروح هنا: ما هو الشيء الذي تجرّد عنه المسيح؟ لقد تجرّد المسيح عن جسده، ونحن نجد هذا الجواب في الإطار المباشر حيث يرد ذكر الصليب في نهاية آ ١٤، كما اننا نجد الفعل "ابيكدو" (خلع جسم الجسد) في ٢: ١١، مع العلم ان الفعل خلع (الانسان القديم) ورد في ٣: ٩ كما ذكرنا اعلاه؛ هذه الإشارات تدفعنا الى الاعتقاد ان المسيح تعرّى من جسده وشهّر الرئاسات والسلطات في العلانية ظافراً بهم فيه (في الصليب)؛ نلاحظ هنا ان الجار والمجرور (فيه) يعود في هذه الحالة الى الصليب، في حين ان «فيه» تعود الى المسيح إذا اخترنا المعنى الفاعل.

٢- الرئاسات والسلطات

ورد ذكر هذه الرئاسات والسلطات في النشيد الكريستولوجي: "به خلق كل شيء في السماوات وفي الارض، ما يرى وما لا يرى : أأصحاب عرش كانوا ام سيادة ام رئاسة ام سلطان" (١ ١٦)؛ قد تشير هذه الرئاسات الى قوات ارضية او بشرية كالأباطرة والسلاطين، ويمكنها ان تشير ايضاً الى قوات كونية ملائكية ام شريرة. يمكننا تفسير المقطع الذي نعالجه بطرق متمايزة انطلاقاً من كيفية فهمنا لهوية الرئاسات والسلطات :

أ - اذا كان الرسول يشير الى قوات شريرة، يمكننا ان نفهم ان المسيح انتصر على هذه القوات وجرّدها من سلاحها بعد ان تغلّب عليها، ثمّ قاد المهزومين اسرى في موكبه الظافر.

ب- اما اذا كان المقصود قوات ملائكية، فنكون امام التفسير الايجابي: يعرض المسيح هذه القوات امام المشاهدين بفخر واعتزاز، مثلما يستعرض القائد العسكري جنوده وضباطه الأمناء الذين ساعدوه في المعركة لينتصر على أعدائه؛ هذا يدفعنا الى الاعتقاد ان الرسول يعرض في رسالته سيادة المسيح على الكون، مستوحياً من الاحتفالات التي كان ينظمها القادة المنتصرون اثناء استعراض قواتهم العسكرية وسط الجماهير؛ من الواضح انه لا توجد عداوة بين المسيح وبين هذه القوات، بل هو يعرضها امام الجميع باعتداد.

ج- فهم بعض الشراح آ ١٤- ١٥ في إطار تجريد الملائكة من السلطة التي كانوا يملكونها على البشر؛ كانت

التقاليد اليهودية تعتقد أن الملائكة مكلّفون بمراقبة الشريعة، وأنهم ينفذون الأحكام لمعاقبة البشر الخاطئين؛ ويمكن تحديد مهمتهم انطلاقاً من مغفرة الخطايا التي اشار اليها الرسول في ١: ٣-١٤، ثم ذكرها ثانية في المقطع الذي نعالجه (٢: ١٣-١٥)، مع العلم ان الرسول ذكر في آ ١٤ الصكّ الذي تُكتَب عليه الخطايا؛ هذه القوى التي تدوّن خطايا الناس على الصكّ، تتهم البشر وتهدّدهم، لأنهم يتجاوزون وصايا الله، وهي بالتالي تتصرّف وكأنها قوات معادية للناس.

لم يقترف هؤلاء الملائكة اي خطأ امام الله ليعاقبهم، ولكنه شهّرهم في العلانية امام الجميع بمعنى ايجابي، اي أنه كشف خضوعهم له في مسيرتهم ضمن موكب سماوي حيث يكشفون عن اكرامهم لله القدير ولمسيحه. جرّد القائم من الموت هذه القوات من السلطة التي كانت تمتلكها على البشر، وكشف في العلانية ضعفها الحالي (٢: ١٥؛ رج ١: ١٣ أ)، ومنح غفران الخطايا للمؤمنين (٢: ١٣-١٤).

٣- اسم الفاعل: "ظافراً"

ان اسم الفاعل "تريامبساس" (ظافراً) لا يشير بالضرورة الى الظفر، بل بالأحرى الى الاحتفال، وفي هذه الحالة يكون معناه: قاد في موكب ظافر، وهذا يضعنا في اجواء الاحتفالات التي كان القواد المنتصرون ينظمونها في مواكبهم وهم يستعرضون الرئاسات؛ نشير هنا الى ان هذا الموكب يمكنه ان يضمّ قوات حليفة او قوات عدوة، بحسب المعنى العام الذي يختاره المترجمون للأفعال "جرّد" و"شهّر".

بعد هذه الدراسة للمعاني المختلفة التي تتضمنها الكلمات الواردة في آ ١٥، لاحظنا انه يمكننا قراءة المقطع الذي نعالجه بطريقتين مختلفتين: إذا كانت القوات عدوّة، تتّخذ الكلمات "جرّد" و"شهّر" و"ظفر" معنىً سلبياً، وبالتالي نفهم ان المسيح يقود القوات اسرى في موكبه الظافر؛ أمّا إذا كانت القوات حليفة، فإنّ الكلمات المذكورة تتّخذ معنىً ايجابياً، وفي هذه الحالة يعرض المسيح القوات الحليفة له باعتزاز امام الناظرين.

ثانيا": تعليم النص

حين دوّن الرسول آ ١٥ يبدو أنه حاول جاهداً أن يجعلنا نفهم هذه الآية بطريقتين مختلفتين ليؤكد سيادة المسيح على كل السلطات سواء أكانت حليفة أم معادية. ان الأفعال التي اختارها بدقة تشير الى انتصار المسيح على القوى المعادية والقوى الحليفة في آنٍ معاً: لقد نزع سلاح أعدائه، ولكنه في نفس الوقت حرم حلفاءه من السلطة التي كانوا يتمتّعون بها لمعاقبة الخطأة.

نستطيع ان نفهم تعليم الرسول إذا تذكّرنا الاحتفالات التي كان القواد اليونان او الرومان ينظّمونها للتباهي بانتصاراتهم، اثناء هذه الاحتفالات كان هؤلاء القواد يستعرضون جنودهم وضباطهم الذين ساعدوهم في انتصاراتهم، ولكنهم كانوا يقودون الملوك خصومهم الذين انهزموا في المعارك ليسخر بهم الناس المشاركون في هذه المناسبات. هذا يعني انه من الممكن حضور رئاسات صديقة ورئاسات عدوة منهزمة في آن معاً، ومن الطبيعي ان يستعرض القائد الظافر هذه الرئاسات والسلطات ليتباهى امام الحاضرين. في هذا الاطار يمكننا أن نفهم آ ١٥ على الشكل التالي: احتفل المسيح بانتصاره على الرئاسات والسلطات بواسطة موكب يقود فيه حلفاءه وخصومه المقيّدين بالسلاسل.

المسيح هو رأس كل رئاسة (٢: ١٠) وهذا يعني أن كل سلطة تناهضه اضحت عاجزة؛ كذلك السلطة التي كانت تملك سابقاً سلطاناً للمعاقبة قد تجردت الآن من سلاحها؛ ان السلام لم يتحقق دون الصراع، لأنه من الضروري وجود غالب ومغلوب في كل معركة. ان كلمة «خايروغرافون» التي تظهر في آ ١٤ تشير طبعاً الى الكتاب حيث كانت الملائكة تدوّن خطايا البشر (رج مت ٦: ١٢)، أزال المسيح بموته على الصليب هذا الكتاب وغفر الخطايا.

نستطيع ان نلاحظ، في المقطع الذي عالجناه، وجود تدرّج ينطلق من آ ١٣ وينتهي في آ ١٥:

صفح جميع الخطايا (آ ١٣)، وأزال الصك حيث كانت الخطايا مسجلة عليه، وتلاشت معه الفرائض والعقوبات التي كانت مفروضة بسببها (آ ١٤)، وانتزع كل سلطة من الملائكة المكلفين بتنفيذ الأحكام (آ ١٥).

حين تكلم الكاتب عن هزيمة السلطات، كشف عن وساطة المسيح وتفوقه وسيادته على كل الكائنات الروحية لأن ملء اللاهوت يحل فيه؛ نجد تشديداً على فكرة أولوية المسيح والمفاعيل الناجمة عنها والتي يستفيد منها المؤمنون. ان الذين يشاركون في ملكوت الابن لا يجب أن يخافوا من القوات الروحية لأنها عاجزة ولا تستطيع أن تمارس نفوذها على المسيح بعد أن انتصر عليها وجرّدها من سلطتها بموته على الصليب.

خاتمة

يحرّض الرسول المؤمنين في كنيسة كولوسي على الأمانة للمسيح، فهو السيد المطلق على الرئاسات والسلطات، ولن يستطيع الفلاسفة اجتذاب المؤمنين بواسطة البراهين الخادعة (٢: ٨)؛ تسلّط الموت على الطبيعة البشرية عبر الجسد، غير ان المسيح المعلّق على الصليب تجرّد من هذا الجسد وألغى الصك الذي يتضمّن خطايانا، وتخلّى عن إدانتنا، ومنحنا الخلاص بنعمة مجانية. هذا ما دفع الرسول إلى القول: "أنتم عندما اعتمدتم في المسيح دُفنتم معه وقمتم معه أيضاً لأنكم آمنتم بقدرة الله الذي اقامه من بين الأموات" (٢: ١٢)؛ في المعمودية يخلع الانسان الجسد القديم ويلبس الانسان الجديد، لأن مثال المعمودية هو موت المسيح وقيامته. ان المعمودية ومفاعيلها تساعدنا على فهم سيادة المسيح على الكون بواسطة استحقاقات الصليب. انّ المقطع الذي نعالجه يتضمّن إشارات عديدة إلى أهمية ذبيحة الصليب وقيمتها الخلاصية: إن موت المسيح جعل القوات الملائكية تخسر عروشها لتسير في موكبه الظافر وتعترف بسيادته على الكون.

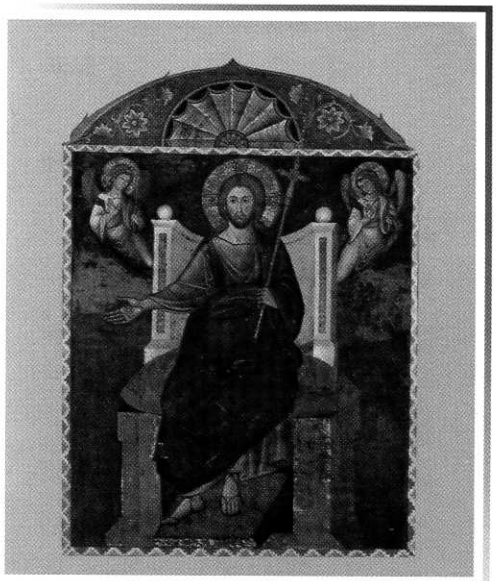

قدرة المسيح القائم من الموت تهب الحياة لمن يؤمن ويعتمد